فتياناً مثلك يعرفون قيمة الوطن فيقدمون أنفسهم لدفع الاذى عنه والافتئات عليه اذا حصلت يابنى على هذا المركز مركز المدافع عن بلاده وأمته مركز الذاب عن بيضة الوطن كسوتنى ثوبا من المجد أزدهى به على معشر الامهات لانى أنجبت ذلك الفتى الذى يقدر الوطن قدره ويبذل آخر نقطة من دمه فى دفع الاذى عنه

وهنا انقطع آخر خيط من خيوط تصوراتها ولبثت ساكنة لا يتحرك فيها الا ذراعها الذى كانت تهز به أرجوحة الطفل فحمدت الله لانه من على الوطن بايجاد أمثال هذه الام اللائى أقصى أمانيهن أن ينشأ الغلام فى حجرهن وينفع وهو متفان فى سبيل خدمة بلاده وقلت فى نفسى لو أن كل الامهات من أمثال هذه لما تسلط شعب على آخر ولعاش الجميع أعزة أحراراً ؟

دمياط سنيه السيد منتصر

امبراطورة الروسيا السابقة كزوجة وأم

لقد كانت امبراطورة الروسيا السابقة مثالا صالحا للام الحنون والزوجة المخلصة . وقد ظهر ذلك جلياً أبان الثورة التى حصلت بالروسيا وانتهت بتنازل الامبراطور عن العرش عام ١٩١٧ ميلادية

روت احدى صديقات الامبراطورة الحميات وهى زوجة أحد ضباط معية الامبراطور السابق فقالت : —

دعتنى الامبراطورة لزيارتها بقصرها فى مدينة « ساركوسيلو » التى تبعد عن بترغراد عاصمة الروسيا ببضعة أميال ـ وكان الامبراطور فى

بترغراد ولذا ابتدرتني عند ماوصلت سائلة ـ «ما أحوال بترغراد ـ علمت أن الامور خطيرة » فطمنت خاطرها وقلت ـ « ليس هناك مايؤلم »

ولكنها كانت قلقة جداً اذ كانت تعلم أن فى نية الشعب أن يثور وكيف يكون الحال وزوجها بعيد عنها

ألا ان شدة قلقها لم تنسها رعاية بنتيها اللتين كانتا مريضتين تشكوان ألما فى الاذن . وكان اسم أحد الدوقتين «مارى» واسم الاخرى «انستاسى» فكانت تقضى وقتها تارة سائلة عن احوال الشعب وزوجها وطوراً متفقدة أحوال بنتيها المريضتين

وفى ذات يوم أخبرتنى الامبراطورة أنها حاولت أن تكلم زوجها (بالتليفون) فلم تفلح وأخيراً أبرقت له كى يحضر سريعاً

وبعد قليل علمنا أن الشعب هائج وأن بترغراد فوضى فرجتنى الامبراطورة أن أكلم الامبراطور تلفونياً وأستعلم منه عن الحال وقد فعلت فكان جوابه ـ « اخبرى جلالتها اننى هنا فى أمان وأن الاحوال ستهدأ حالا »

الا ان الامبراطورة لم يهدأ لها حال فخرجت تسأل أحد القواد وعادت بحالة مقلقة ولكن بالرغم من قلقها لم تشأ اذعاج بنتيها المريضتين فانتظرت حتى ذهبتا الى غرفتهما ثم أخذتنى بعيداً وقالت « لا أود ان اخبر بنتى بشىء اللهم الا اذا اصبح من المتعذر جداً أخفاء الحقيقة عنهما وقد علمت ان الاحوال مضطربة جداً ولكن لله الحمد فان عندنا خير رجال الجيش الامناء المخلصين لنا »

وكانت الحال تشتد خطورا والامبراطورة رابطة الجأش لا تبدو

عليها أمارات الخوف أو القلق وارسلت البرقيات العديدة لزوجها الا انه لم يأتها رد . . وفى ذات يوم قالت لى « علمت أن جيشاً مؤلفاً من ٣٠٠٠٠٠ شخص يزحفو على القصر — الا اننا لا نخاف ولا يسوغ ان نخاف لان الامور كلها بيد الله — وسيأتى الامبراطور قريباً وبحضوره يزول كل خطر

ثم خطر للامبراطورة ان تكلم العساكر فرجوت ان ارافقها الا انها أبت قائلة « لا أرى لذلك من داع لان الكل اصدقاؤنا ومخلصون لنا »

ثم ذهبت ووقفت اراقبها فرأيتها تتمشى من رجل لاخر غير هيابة ولا وجلة — وكانت طيبة قلبها أكبر مشجع لها في هذه الامور كذلك حسن اعتقادها فى اخلاص من حولها وامانتهم

وجاء شهر مارس ذلك الشهر الذى يتشاءم به الكثيرون لما وقع فيه من الحوادث المكدرة التى منها قتل الامبراطور بولس وقتل جده المدعو اسكندر الثانى ففي أول يوم من ذلك الشهر بينما كنت واقفة والامبراطورة تطل من نافذة اذ رأينا كثيراً من عساكر القصر قد وضعوا شارة بيضاء حول معاصمهم ولما سألنا عن السبب نبئنا ان هذا يشعر بانضمامهم الى الشعب الهائج : فما كان أعظم ذهول الامبراطورة حينئذ وما هى الا عشية أوضحاها حتى كان الجيش المرابض فى القصر قد تركه وأصبحنا فى معزل عن « العساكر المخلصين الامناء » الذين كانت الامبراطورة تلهج بذكرهم دائما الا أن بعض الضباط أبوا الا البقاء لحراسة القصر فوافقت الامبراطورة بعد أن شكرتهم

وازداد الامر هولا بحضور دوق عظيم يدعى « بولس » وبعد حديث

دار بينه وبين الامبراطورة خرجت الاخيرة وقد امتقع لونها حتى صارت تشبه الاموات فهرولت نحوها واذا بها تقول « لقد تنازل عن العرش »: فلم أصدق أذنى ولكنى صرت أشجعها وأقول لاتستسلمى للاحزان وراعى أولادك فقالت بصوت الحزن العميق « أى عزيزى ـ أنت وحدك هناك ؟ ! إلهى لابد وأنه قاسى كثيرا ولم أكن هناك لاسليه . . . فصبرتها وحثثتها على الكتابة اليه ليتسلى فأطاعت كما تطيع الطفلة : وقالت « نعم يتسلى بخطاباتى

وفي المساء عادت الامبراطورة بنتيها المريضتين كالمعتاد وأظهرت التجلد والسكون أمامهما كأن لم يحدث شيء ـ وكانت تعزيتها الوحيدة في هذا الامر الهائل علمها بان الامبراطور لم يزل على قيد الحياة

وفى صباح اليوم التالي قالت لي الامبراطورة « ان قائد الثورة ويدعى « رودزنيسكو » أشار بأنه يجب أن نستعد للرحيل من القصر » ثم أردفت ذلك بقولها ولكن ذلك مستحيل لاننا لايمكن أن ننقل بنتى من مكانهما كما أشار الاطباء بذلك

وقد رجت الامبراطورة « رودزينسكو » أن يمهلها ريثما يتم شفاء المريضتين الا أنه أبى واستعصى فلم يكن هناك بد من الاذعان

وفى اليوم السادس من شهر مارس كنا على أهبة الرحيل انما فكرنا فى تمزيق مذكرات وخطابات الامبراطورة بدلا من حملها وفعلا مزقت وأحذنا وقتا طويلا فى حرقها وكم بكت الامبراطورة عند حرق الخطابات التى كانت تصلها من زوجها الامبراطور قبل وبعد الخطبة

وبينما كنا جلوسا نتكلم واذا بأحد الخدم حضر معلنا أن الامبراطور

يريد أن يكلم الامبراطورة تليفونياً ففقزت الامبراطورة من الغرفة كأنها صبية ثم عادت بعد قليل ووجهها يطفح بشراً ممزوجا بدموع الفرح ثم قالت « سيحضر قريباً »

بعد ذلك أعلنت الامبراطورة بأن الاسرة ستعتقل جميعها وفعلا أصبح القصر ومن فيه تحت تصرف الثائرين بعد أن استبدل بعضهم بحراس القصر وقد بكى بعض الضباط عند خروجهن وطلبوا من الامبراطورة تذكاراً يحفظونه لها فأرسلت لهم بعض مناديلها وعليها اسمها

عند ذلك لم تر الامبراطورة بدا من أخبار بنتيها بالحقيقة فاخبرتهما

وفى اليوم التاسع من شهر مارس سمعنا حركة سيارة وعندها دخل الخادم الامين فولكف (الذى لم يشأ أن يلقب سيده بغير «الامبراطور» ولو أنه تنازل عن العرش) وقال « قد حضر جلالة الامبراطور »

ففقزت الامبراطورة من على كرسيها وقمت أنا أيضاً ـ وكان لمنظر مقابلة الامبراطور بأسرته من التأثير مالا يقوى على وصفه قلم

وكان الامبراطور شاحب اللون تبدو عليه علامات التعب والهزال وبعد أن استراح قال انه في حاجة الى التريض نخرج ونحن نشيعه بالانظار فرأيناه قد اتخذ طريقاً ومشى فيه واذا بنفر خرج عليه وأشار اليه ان يمشى في طريق آخر فاضطرب الامبراطور ولكنه اذعن وبعد هنيهة خرج عليه نفر آخر واخبره بانه غير مصرح له ان يمشى في هذا الطريق ايضاً وانه سيعامل معاملة السجين مادام معتقلا : فما اعظم تأثير تلك المعاملة في نفس الامبراطور ـ ذلك الامبراطور الذى كانت الملايين من الاميال تحت تصرفه اصبح الآن لا يملك الا بضعة ياردات يتمشى فيها

واخبرتني الامبراطورة ان زوجها فقد قوة ارادته فهو يبكي كثيراً بكاء مراً

وساءت الحال ونحن بالقصر مدة قاست فيها الاسرة الامبراطورية ماقاست من معاملة الاضداد ثم سافر الامبراطور مع اسرته الى بلدة اخرى فاضطررت الافتراق عنهم — وظلت الامبراطورة والدوقات يكتبن لي مدة طويلة . انا الآن لم انسى كرم اخلاق الامبراطورة — تلك السيدة التي كنت كلما نظرت اليها ازددت اعجابا بها وميلا اليها .

نفوسه خليفه

الى الصديقة الحزينة

ما أحلى الصداقة اذا قامت على أساس متين فائتلفت الارواح وتعارفت الامزجة !

ماأسعد الصديقة بوصول خطاب تهنئة اليها من صديقتها وما أحب هذا الخطاب اليها اذا جاءها للاستفسار عن صحتها اذا كان خطاب مواساة وعزاء !!

استغفر الله ما للصديقة والعزاء فهي في مثابة الاخت والاخت في مذهبي لا أعزيها لان كلتينا في السراء والضراء سواء لكن يأبى الاخلاص الا ان يرفع الى عزيزتي هذا الكتاب :

كتاب من صديقتك التي فرق الدهر بينك وبينها منذ اربع سنوات ولم تعد تسمع من اخبارك الا القليل الذي يصلها من الغير وليس لها أمل في لقائك اللهم الا في الخيال والمنام وليس لها من الماضي غير ثقتها باخلاصك